

كابوس للنشر والتوزيع

علي أحمد

غلاف أحمد رزوق

"مسرحية"

كابوس للنشر والتوزيع

علي أحمد

مسرحية

كابوس للنشر والتوزيع

المؤلف :علي أحمد

نشر في   :أغسطس٢٠١٦

تصميم الغلاف: أحمد صلاح زردق

تنسيق داخلى : عصير الكتب للنشر الالكترونى

إهداء

د.إيمان الدواخلي

أ.محمد الجيزاوي

د.أحمد إبراهيم إسماعيل

أُهدي عملي المتواضع لعقولٍ تُنْتِج من الأدب ثورة..

الفصل الأول

تُفْتَح الستَار ، يقف شاب نحيل الجسد في مُنْتَصف المسرح ، بنظّارته الطبيّة ، يحمل بين يديه كتابًا ، يُقلّب صفحاته بسبّابته ، ومن خلفه أكشاك ثلاثة بعرض المسرح ، الأولى على يمين المَسْرح تعلوها يافطة تحمل اسم – الغردقة للنشر والتوزيع – ، وعليها بعضًا من إصدارات الدار وبداخل الكُشْك يجلس عاملان يبدو عليهما الإرهاق الشديد ، أمّا في الكشك المنتصف ، والذي يحتل مساحة كبيرة عن صاحبيه فتحمل يافطته اسم – س للنشر والتوزيع – ، أمّا في الجانب الأيسر فيقبع كشك صغير الحجم لا تعلوه أية يافطة ، ممتلئة أرففه بالمُجلّدات الضخمة ، ويقف أمامها رجل عجوز بعباءته الواسعة ، يُمسك بيديه ورقة مطويّة يحجب بها عينيه الهزيلتين عن الشمس ، ومن وقت لآخر يخطو من أمام الأكشاك عدد من الشباب والفتيات يتصفّحون أغلفة الكتب ومن ثَمّ يرحلون ، وفي أقصى يمين المسرح يافطة كبيرة الحجم تحوي كلمات – أهلًا بكم في معرض القاهرة الدولي للكتاب في دورته الـ.... – ، وصورة ضخمة لأحد الكُتّاب القُدامى باعتباره شخصية هذا العام ، أمّا عن صاحبنا – واسمه علاء – الذي يقف في منتصف المسرح فها هو يعود إلى موقعه حيث يجلس على كرسي أمام كشك دار س للنشر والتوزيع وأمامه مائدة تعلوها أشهى أنواع الكتب والروايات الصادرة عن دار النشر.)

علاء :– ااااه ، ااااه من الحظ ، أنا.. علاء ابن أم علاء ، يجلس كبائع كتب في معرض الكتاب ، ااااهٍ لو يُعطِيني الحظ مثل ما يُعطِي أولاد الأغنياء – يحك مؤخرة رأسه – بالتأكيد كنت خسرت كل أموالي ، نحس من يومي ، نحس فقط !! بل أنا المادة الخام للنحس ، أتعلمين يا كتبي العزيزة لو أعلنوا فوزي بجائزة أكبر منحوس في العالم ؛ سأموت قبل استلامها بدقائق..

(يدخل – من يمين المسرح أحد الأشخاص المُتجّولين في المعرض ، بذقن خفيفة وبذلة ليست

بالجديدة ، يبدو على وجهه التذمُّر والضيق ، يقف أمام طاولة الكتب التابعة لدار س.)

القارئ – بتذمُّر – :–ما هذا يا سي ْد ؟؟!

علاء :– هه ماذا ؟؟ ، ماذا تريد يا سيدي أتبحث عن رواية بعينها ، أم تبحث بعينيك على ما يُ رضِيك فحسب ؟

القارئ :–أنا لا يُ رضيني شيء ..أنا قارئ

علاء :– نعم ، أفهم ذلك جيدًا ، والظاهر على وجهك ، أنك قارئ فذ.

القارئ – بعدم اكتراث – :– لا يهم ماذا على وجهي ، المهم ماذا يحوي صاحب ذلك الوجه.

علاء :– أجل يا سيدي ، هذا هو المهم ، لم تُ فْصِح لي عّم تريده أو تبحث عنه.

القارئ :– لِ َما أنت مُتعجّل يا رجل ! ، ثُمّ لا تقلق أنا لا أشتري سِوى الكتب ، لا أشتري الروايات ولا الدواوين السخيفة أو ما شابه.

علاء –بابتسامة –نعم–يا سيدي أتفق مع هذا الرأي ، الكتب تصنع المُ ثقف ، لكن الأدب يصنع إنسانً ا.

القارئ – مُسْتِه ً ا – :–إنسانً ا سخيفًا تقصد.

علاء :–كما تحب ، هنا كتب لو تحب الاطلاع عليها .

القارئ :– لا لا ، أعرف ما أتيت لأجله ، وأعرف أيضًا أني لن أجده لديك.

علاء :–إذً ا..؟

القارئ :-إذاً السلام عليك.

(يتركه القارئ ويخرج من يسار المسرح وهو على تذمّره وقنوطه ، يضرب علاء كفًّا على كف ، يعلوه التعجُّب والدهشة من تلك النوعيات ، يدخل آخر من اليمين ، يتجوّل في كشك – الغردقة -قليلًا ، ثُمّ يتركه ويتّجه لدار س)

القارئ ٢ :- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

علاء – واقفًا – :- وعليكم السلام.

القارئ ٢ :- لا لا ، رد السلام يكون كاملًا حتى تأخذ الأجر كاملًا.

علاء :- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

القارئ ٢ :- هكذا يكون ، هل يُوجَد هُنا رسائل الإمام ابن حزم ؟

علاء :- ،لارسائل الإمام ابن حزم تجدها في الكشك المُجاوِر لنا.

القارئ ٢ :جزاك الله خيرًا.

(يتركه القارئ٢ ويذهب للكشك المُجاوِر حيث يُرحّب به الشيخ)

علاء -مُناديًا – :- لِمَا لم تُلْقِي السلام علّي حتى تأخُذ الأجر كاملًا ؟

القارئ ٢ :-لا تُؤاخذني يا أخي في الله ، فطلب العلم فريضة.

علاء – مُقهقِهًا – :- تجدون الأعذار ما حييتم.

(يجلس علاء مرة أخرى ، يُمْسِك بكوب الشاي الساخن ، يرتشف منه بِضْع رشفات ،ومن ثَمّ

يدخل من أقصى اليمين – مصطفى – ، شاب في بداية العشرينات ، يرتدي معطف أسمر وسروال ضيّق وحذاء بنفس اللون ، ذقنه خفيفة ، طوله متوسط ، مُبتَسِم للحياة ، دخل على علاء ، حيّاه ، دخل الكشك ، أتى بكرسي ، جلس هو الآخر أمام الطاولة وعينه لا تفارقها).

مصطفى :– منظر الكتب أمامي يجعل المعرض وأيامه عيدًا بالنسبة لي.

علاء :–بالطبع ، أَولست كاتبًا ولك رواية معنا !

مصطفى :–كل هذا لا يُهِم ، المهم هو أن أجد من يقرأها ،

ولو قارئًا تُعجِبه كلماتي ، تُغيّره للأفضل ، وقتها لن تسع الدنيا فرحتي.

علاء :– أنت طيب يا مُصطفى ، الكلمات ومفعولها السحري ولّى ومضت أيامها ، الكلمات التافهة الآن هي الرائجة ، سحرها الأسود هو ما يُعَمل به (يُمسِك بكتاب من على الطاولة) انظر لهذا الديوان ، اسمه –هُناء بِل نووي– اسم يجذب ، غلاف ولا أروع ، لكن المُحتوى ، أقل ما يُقال عليه أنه روث بهائم عقيمة ، وانظر إلى روايتك أنت ، لقد طُفْت بها شرقًا وغربًا ولم تجد من ينشرها لك غير دار س ، والتي استلَمت من جيبك أربعة آلاف جنيه ، ولَكَ أن تقف مكاني ساعة من الزمن لتعرف أن الديوان مطلوب ، لأن الدعاية عليه أفضل ، و اسم المؤلّف له وقْع السحر على مُعجبيه.

مصطفى :–مهما حدث ، ستعيش أعمالي ، ولن تسمع اسم هذا الديوان بدءًا من العام القادم.

علاء :– من هنا للعام القادم سيكون صاحب الديوان افتعل كلمات جديدة تافهة ليبيعها ، ليربح أموالًا ويتزّوج بحبيبته التي يكتب عنها ، إن كان له حبيبة من الأساس ولم يختلقها ليقتات

عليها..

مصطفى :- يبدو أنّك قرأت الديوان !!

علاء :- للأسف ، بدافع الفضول والآراء السيئة التي كُتِبت عنه على - الفيس بوك - ، إن البعض لا يعلم أن نِتاج الدعاية السلبيّة هو في النهاية دعاية كافية لجَلْب الفضوليين حتى باب المكتبات وأجنحة المعارض لكي يسألوا عن تلك الأعمال ، أتعلم ، جاءني منذ يومين مجموعة من الشباب ، لا يبدو عليهم أثر الثقافة ولا حب القراءة ، يسألونني عن حفل توقيع الديوان ، وعندما حادثتهم ، وجدتُ أنهم عرفوا ميعاد الحفل من على صفحة الشاعر الكبير ، وعلِموا أن له شعبية طاغية من الفتيات ، وجاءوا للفتيات فقط ، أترى إلى أي مدى وصلنا؟

مصطفى :- هذه فئة قليلة يا علاء ، لا تُبالِغ ، لن نذهب بعيدًا ، اليوم حفلة توقيعي ، بعد ربع ساعة ستبدأ ، سنرى ما تتفّوه به حقيقة أم مجاز ، أنت تعلم أن الأعمال الجيدة ستعيش لكنك تُبالِغ..

علاء :- ستعيش ..نعم ، أتفق مع هذا الرأي ، لكن ما رأيك في أُناسي يعرفون السلعة الرديئة ويطلبونها ، هم حمقى بالتأكيد ، وهؤلاء الحْمقى في تزايد يا مصطفى ، اسمع منّي ، القُراء في هذه البلد قليلون ، وأقل القليل هم من يُقدّرون الأدب الجيّد..

يصمت مصطفى أمام تيّار الكلام المُضاد ، ينظر في ساعته ، لم يتبقّى سوى القليل من الدقائق لتبدأ حفلة توقيعه ، حلم حياته ، يتّسع صدره لهواء من نسيم معرض الكتاب ، رائحة الكتب وملمسها يعشقه بذوبان ، وفجأة ، سُمِعَت جلبة وصياح من الخارج ، يبدو أن هناك شئ مهم ما يحدث ، يدخل من أقصى اليسار شاب ببذلة أنيقة سوداء ، حليق الذقن ، شعره كثيف مُمّوج ، يجتر خلفه عدد من الفتيات والشباب ، كُلٌ منهم يحمل نسخة من كتاب بين يديه ،

مُطالِبًا إيّاه بتوقيعه على نسخة الكتاب ، يجلب الشاب كرسي ويقف عليه في أقصى يمين المسرح وهو يُمسِك بقلمه ويُوقّع على إحدى النسخ)

علاء :-طبعًا تعرفه ؟

مصطفى :- لا لم يحدث وأن رأيته من قبل..

علاء متعجّبًا - :-إنّه مازن الصالح كاتب روايات الرعب المعروف..

مصطفى :- نعم نعم ، قرأت له قبل ذلك ولم يعجبني ، ضعيف في أدائه الروائي.

علاء :- لكنه ذو شعبية جارفة يا صديقي ، إن نسخة روايته الجديدة تصل إلى خمسين جنيًها ، ورغم ذلك فإن طبعتها التاسعة أوشكت على الانتهاء ، رغم أنها لم تُكمِل أسبوعًا.

مصطفى - متوترًا - :- لَما لم تخبرني أن ميعاد حفل توقيعه في نفس ميعاد حفلي ؟

علاء :- لم أكن أعرف صدّقني ، لم يكن أحد يعرف غير البارحة فقط بعد إعلانه عن مجيئه.

مصطفى :- أعلن عن مجيئه البارحة فقط !!

(ينظر مصطفى باشمئزاز يشوبه بعض الحسد على مشهد مازن وهو يُوقّع إحدى النُسخ).

مازن :- ستحبون روايتي - خلف أسوار الألْولُو - بالتأكيد.

إحدى الفتيات :- طالما أنت كتبتها فهي رائعة بالتأكيد.

مازن -بخجل- :- يا رب يخلّيني لكم دائًما يا أحلى جمهور.

الصحفي -بترقّب - :- هل لي أن أستخرج منك كلمتين يا سيدي لحديث صحفي ؟

مازن :- نعم بالتأكيد ، تفضّل

(أدار الصحفي جهاز التسجيل ، ومُعظم الجمهور أنصت ليستمع).

الصحفي :- مرحبًا بك يا سيدي أولًا ، واجعلنا ندلف للمواضيع المُهمّة سويًا ، مُبارك عليك روايتك - خلف أسوار الألُولُو - ، حدّثنا عنها يا سيدي .

مازن :- أنت لا تعلم كم كُانت الرواية مُهِمّة جدًا بالنسبة لي ، كتبتها في عشرون يومًا ، كنت أرتعب ممّا يستحق الرعب ، (ضاحكًا) بالرغم من أني أنا الذي أكتبه ، ستكون مفاجأة بالتأكيد لكم.

الصحفي :- بسبب تميُّزك عن الآخرين ، بات لك نصيب من حب جمهور الأدب ، ألا تذكر لي سبب واحد لذلك ؟

مازن :- لا أسعى لتقليد أحد.

الصحفي :- لماذا يتجه الشباب لقراءة الرعب ؟

مازن :أتوقّع أنه هربًا من المستقبل المجهول..

مازن :- سمعنا من الناقد المعروف - محمود المازني - عن روايتك أنها محط للابتذال.. ما ردّك على هذا الكلام.

(همسات استهجان ظاهرة من الجمهور ، ثم مغادرة مازن المسرح وعلى وجهه أمارات الغضب ، ومن خلفه الصحفي يعتذر ومن خلفهما الجمهور يستهجن ويتعجّب)..

مصطفى :- ألا ترى معي أنها مهزلة ؟

علاء :- تذكّر قْولتك منذ قليل ، الأدب الجيد يعيش ، نترك الجمهور لذائقته ، هذه هي ذائقته يا سيد مُصطفى.

مصطفى -حزينًا - :- أظن أنه لن يأتي أحد بالتأكيد إلى الحفل هنا ؟

علاء :- بصراحة ، لا أعتقد ، سيأكل مازن كل الجمهور الزائر اليوم..

مصطفى :- ما رأيك لو فتحت دارًا للنشر..

(يضحك علاء بدوت صوت)

علاء :- فكرة رائعة ، لكنها مُسَتْهلَكَة.

مصطفى :-ما الذي يمنع ، على الأقل سوف أقدّم أدبًا جيدًا بدلًا من ذلك العفن..

علاء :- نصف دور النشر الجديدة كان أصحابها يتفّوهون بنفس الكلمات ، لكن طاحونة النشر استهلكتهم وأصبحوا عبيدًا للشُهرة إلّا ما رحِم ربّي..

مصطفى :- هم خاضوا التجربة وفشلوا ، لكني أثق بنفسي ، أعرف أن الأمر صعب لكنه ليس مستحيلًا

علاء :- أنت وراحتك ، لن أضغط عليك ، أستأتي الدنيا تحت قدميك وتقف ، كأس يدور وعليك أن تتذّوقه ، وعلى الأدب السلام.

مصطفى :- لا آخذ منك سوى تلك الكلمات السلبية ، من الغد سأبدأ في إجراءات الدار ، وإّما أنا أو السوق الأدبي الحالي ، العقيم يا سيد علاء..

علاء - ساخرًا - :- ربنا يجعل على يديك الولادة سهلة يا دكتور..

مصطفى :-أنا مُتعَب الآن ، سأدخل إلى الجناح أرتاح قليلًا ، وإن أتى أي شخص وسأل عنّي فلتوقظني في الحال..

علاء :- إن أتي !!

الفصل الثاني

(يُفْتَح السِتار عن مكتب خشبي يمين المسرح ومن ورائه مصطفى بعد أن اسَوّد جفنيه وتأقلمت شُعيراته البيضاء مع انحناء ظهره ، يُمسِك بأوراق يقرأُها علىَ مَسْمع من علاء الذي يجلس على أريكة مُقابلة لمكتب مصطفى ، الأريكة لونها بني ، جلدها طبيعي وكأنها جديدة للتْو)..

مصطفى :- أما آن الأوان يا علاء أن تعمل معي في الدار ؟

علاء :- اعفيني يا عم مصطفى ، يكفيني أني قارئ

مصطفى :- قارئ !! ، لقد أصبحت تلك تهمة..

علاء :-في عُرفك أنت يا صاحب الدار تُهمة ، لكنها متعة بالنسبة لي.

مصطفى :- لا أعرف ما الذي يستدعي القراءة ، كلها أعمال لا تليق بالقراءة..

علاء :-وهل ما تُنتِجه أنت أو غيرك هو الأدب فحسب ، أين ذهب الرافعي والعقاد وطه حسين إذًا !! هل اندثر أدب ديستوفيسكي وتشيخوف !! لا لم يندثر..

مصطفى :- ومن يقرأ هذا يا عم علاء ؟

علاء :–الكثير يهربون من مَخْدعِ كُم ، الكثير لا يُوق لهم ما تُقدّمه دور النشر في أروقة المعارض ، يهربون إلى حيث الأدب الحق..

(يُدقُّ الباب فيقوم علاء ليفتح ، تدخل الآنسة علياء الشِّردي ، ممشوقة القوام ، كحيلة العينين السوداويْن ، تُسلّم على مصطفى ومن ثمّ تجلس على الكرسي أمام المكتب ويجلس علاء حيث مكانه)..

مصطفى :–أهلًا بأديبتنا الكبيرة ، والكاتبة التي أتنبّأ لها بمستقبل باهر.

علياء – بتحفّظ – :– أهلًا أستاذ مصطفى ..

مصطفى :خيرًا إن شاء الله..؟

علياء :– كان والدي في إحدى المكتبات الكُبْرى أمس ، وسأل عن كتابي ، ولم يجده وفوجئ أنه لم يصل حتى الآن ، بالرغم من أنه قد مضى على وجوده بالمعرض أكثر من شهر..

مصطفى :– نعم.. نعم ، سيصِّلُ قريبًا صدّقيني ، الأمر وما فيه أن هناك معارض أخرى يجب أن تكون خواطرك متوافرة بها ، ونحن نعمل على قَدم وساق في هذا الأمر ، وإن شاء الله سوف تكون متوافرة في خلال أسبوعين على الأكثر ، ولماذا ينتابك القلق ، العقد مدته ثلاث سنوات ، ومن حقك مقاضاتي أيضًا إذا حدث خلاف..

علياء :– لا .لا ، لا أقصد ذلك ، لا يُوجَد خلاف ولن يُوجد بإذن الله ، كُلّ ما في الأمر أني أسعى إلى الاطمئنان ، خصوصًا وأن المبلغ الذي دفعته ليس بالهّين..

مصطفى :– طَبْعًا الكتاب وشاهدتيه في المعرض ، وكان حفل التوقيع على أفضل ما يكون ، إذًكنت عند وعدي حتى مشكلة أمس التي ستُحَل قريبًا بإذن الله..

(قامت علياء من مقعدها ، سلّمت عليهما ، ثم ولّت)..

مصطفى هذه يا سيدي علياء الشْردي ، كاتبة بالدار المُ َوقّرة..

علاء :-أعلم ذلك ، رأيتها في حفل التوقيع وكان مُودحِم ًا جدًّا..

مصطفى :- معظمهم إن لم يكن الجميع من أصدقائها ومُتابعيها على مواقع التواصل الاجتماعي ، نفذَت الطبعة الأولى ، لكني أعلم تمام العلم أنه لن يُ بَ اع في المكتبات ، من يشتري الخواطر الآن ، أتظن نفسها غادة السّمان..؟!

علاء :- لكن لماذا يا مصطفى ؟ إن لم تكن تستحق بالفعل ، لماذا أعطيتها فرصة من البداية ؟!

مصطفى :-متابعيها كُثُر ، وأموال والدها جاهزة ، لِ َما لا ؟

علاء :- وماذا ستفعل الآن ؟

مصطفى :-سأطبع الطبعة الثانية بنصف ما اتّفقنا عليه ، ٥٠٠ نسخة فقط ، أوزّع نصفها على المكتبات التي لا تتشرّط ، والباقي على سور الأزبكية والنبي دانيال والأرصفة في بقية المحافظات بعد ما أطبعها طبعات شعبيّ ة..

علاء :تبدّلَت أحوالك كثير ً ا يا مصطفى..

مصطفى -مُ تَ ذمِّرا - :-هذا هو حال السوق يا عمنا ، ألا تتابع ، لن يُ عفَى صاحب دار نشر من الديون إلّا إذا لّبى طلبات السوق ، ومن أجل الاستمرار لا بُ دّ وأن يكون هناك بعض التنازلات والدعاية الجيّ دة ، مثلًا ، الحفل الكبير الذي نظّمته العام الماضي..

علاء :- نعم..حفل توزيع الكتب المجّ انية..

مصطفى :- نعم.كان من جانب خدمة للقُّراء المُ علَمين ، ومن جانب آخر دعاية للدار ولا لُوم ، عند ما يقرأ الفقير سيحب القراءة ، يعشقها ، ووقتها ، وقتها فقط ، سيتولّى هو زمام الأمر ، سيأتي إلينا ، ليشتري ، الأمر إدمان يا صديقي ، بادئ ذي بدء نسحبُهُ إلى ملعب القراءة بالمجّاني ، وحين يُدمِن الأمر الذي يستحق الإدمان ، نأخذ - بإرادته - كل ما في جيبه ، ولن يفْلِت منّا ، سيجدنا في المكتبات والمعارض وحتّى على الأرصفة التي تبيع الكتب المضروبة..

علاء :- شيطان أنت يا مُصطفى..

مصطفى :- الشياطين تعمل في الخفاء ، أنا أعمل في العلن ولا يُهمّني ، كما أقدّم أعمالًا لا تليق ، أقدّم أعمالًا تحصد الجوائز ، كما أقدّم الأعمال الشعبية ، إنه الكوكتيل الذي يضمن لي البقاء..

(وقتها ، دخل عليهما مازن الصالح ، قام مصطفى من فْورِه ورحّب به أشد الترحيب ، فيَم ظهر بوادر الامتعاض على وجه علاء الذي حاول أن يستأذن فاستوقفه مصطفى بإشارة من يده ، فجلس مُضطرًّا وأمسك بجهازه المحمول ، وبدأ يتصفّح صفحته على - الفيس بوك -)..

مصطفى :- أين أنت يا فارسنا العظيم وأين أعمالك ..؟

مازن :- في الطريق يا عم الشباب ، لقد أرسلتُ عملي البارحة على بريد الدار..

مصطفى - بدهشة - :- صحيح ..؟!

مازن :- نعم ، ألم تراه..؟

مصطفى :- لا لم أراه ، ولن أراه ، سيدخل مرحلة الطباعة ، أنا أثق بك..

مازن :- ليس إلى هذا الحد يا عم الشباب..

مصطفى :-إلى هذا الحد وأكثر ، تكفيني شعبيـّتك ، سيكون العقد بين يديك في غضون ساعات ، تملأه بما تُحِب ، لكن عندي طلب صغير..

مازن :- ألَا وهو..؟!

مصطفى :- سنضع في خانة السعر ، النسخة الواحدة بخمسين..

مازن :-سيكون غاليـًا يا عمّنا..

مصطفى :- لكن جمهورك سيقتنيه بأي حال..

مازن :-افعل ما تُحِب ، لكن لي شرط وحيد..

مصطفى :- وأنا علّي التنفيذ..

مازن :- نسبتي تزيد لثلاثون بالمائة..

مصطفى – مُفكّرا – :- النسبة كبيرة خصوصًا أنك لن تدفع شيء ، لكني موافق على أي حال ، بشرط العقد مُمْتد إلى الطبعة الثلاثين..

مازن – بعد قيامه – :-إذًا لا بأس ، سأستأذن أنا ، وأرسل لي صورة العقد وسوف أراجعها..

(يخرج مازن ويتنفّس علاء الصعداء ، يجلس مصطفى على مقعده بينما يقترب منه علاء وبين يديه اللوحة الإلكترونية)..

علاء :- انظر معي ، هذا الجروب تمّت مناقشة تجارب كُتّاب دارك فيه..

مصطفى – ضاحكًا – :- أعلم ذلك جيدًا ، دعهم وما يفعلون ، ربما كانت دعاية جيدة لي ..اقرأ التعليقات ، هل من شخص يذم في الدار..؟

علاء :– الغريب أنه لا..

مصطفى :ليس غريبًا ، هم يظنّون أنهم يثورون ، لكن الأمر في يدي ، ولن يفلت ، الكُتّاب تابعون لي ، ولن يستطيعون قول كلمة سلبية على الدار طالما أن أموالهم في جيبي..

علاء :– لا أعلم يا مصطفى ، ربما يقولون في الرسائل الخاصة..

مصطفى :المهم أنهم لا يستطيعون البوح بتجربتهم على العام ، ومُقابل ذلك يدخل الكُتّاب المشهورون والذين أتعامل معهم بإيجابية ويمدحون في الدار ، سيتركني ذو التجارب السلبيّة نعم ، لكن سيأتي غيرهم الكثير ، حلم الشهرة يراود الكل يا سيدي ، وربنا يجعل لنا من المواقع الإلكترونية عمّار..

علاء – مُشمئزًا – :– أنا لا أتفق معك يا مصطفى ، يومًا ما ستقع ، يومًا ما ستُقدّر الجماهير ما تفعله في أذهانها من ابتلاء..

مصطفى – باستهتار – :– يومًا ما !! ، إلى أن يأتي هذا اليوم ، سأظل أعلو وأعلو حتى أصل إلى مُبتغاي..

علاء :– لن تنفعك كلماتك الهزيلة ، بل وستُرهقك وتهبط بك إلى أسفل سافلين..

مصطفى غاضبًا – :– ما هذا الذي تقوله ، ما هو إلا هُراء ، دع الكل يقول ما يقول ، المهم أني ناجح..

علاء :– ناجح على أكتاف غيرك ، أنسيت الكاتب الشاب الذي اعتديت عليه لمجرد أنه استفسر عن عدم طباعة كتابه بالمعرض الماضي..

مصطفى :– فتى قليل الأدب ، لولا أن المحضر انتهى على الصُلْح لَكَان محبوسًا الآن ، ألا يدري

من أنا..

علاء :- المهم أن تدري من أنت..

(خرج علاء من المسرح ، جلس مصطفى بأريحية على مكتبه ، لكن سرعان ما دخل عليه ثلاثة رجال في زي الشرطة)..

مصطفى :- من أنتم ؟

شرطي ١ نحن شرطة الفكر ، مطلوب القبض عليك بتهمة نشر الإسفاف في المجتمع ، مطلوب للمحاكمة الآن..

(يشير شرطي للرجلين الآخرين ، فيتم القبض عليه في الحال وسط ذهول منه)..

الفصل الثالث

المشهد الأول

قاعة المحكمة

(يفتح الستار على قاعة محكمة ، حيث على اليسار قفص الاتهام يجلس فيه مصطفى ويحرسه شرطي له شارب طويل ، وفي المنتصف طاولة هيئة المحكمة ومن خلفها القاضي وبجانبه المستشارين ، وعلى اليمين أريكة خشبية يجلس عليها علاء وعلياء وعيناهما في ترقّب وحزن)

القاضي (موجّهًا كلماته لمصطفى) :-إذًا وقد جُعِلْت في القفص وتنهال عليك الاتهامات ، ما قولك الآن ؟

مصطفى - مُنْهكًا - :-أنا لم أفعل شيئًا ، الكل يفعل مثل ما أفعل ، لم آتي بجديد..

القاضي :- لكن قديمهم سيئ ، أنركض خلفهم فقط لأن الفوز في هذا ؟!

مصطفى :- لا زلت عند رأيي ، أنا لم أظلم أحدًا ، لم أضرب شخصًا على يده وقلت له تعالى ووقّع على العقد ، ولم أسرق أي أموال..

القاضي :- لكنك احْتَلْت عليهم..

مصطفى :-كان برضاهم ، والقانون لا يحميهم وليس ولي أمرهم..

القاضي :- سنرى.. (صائحًا) نادي على الشهود..

(يتقدّم الشرطي خطوتين للأمام ثم ينادي)

الشرطي :- الشاهد الأول ، الكتاب الساحر يتفضّل..

(يدخل الكتاب الساحر من اليمين ، مُبتَسِمًا للحضور ، لكنه محني الظهر ، تظهر علامات العجز في خطوته البطيئة ، يسلّم على الجميع ومن ثَمّ يقف أمام القاضي في منتصف المسرح)..

القاضي :- ما الذي فعل بك هذا أيها الساحر..؟

الساحر :- الحياة والزمن والدنيا والأيام وهذا الرجل (يَشِير إلى مصطفى)..

القاضي :-نحن لا تُهمّنا الحياة ولا الزمن ولا الدنيا ولا الأيام ، نحن يُهمّنا ما الذي فعله بك هذا الرجل..

الساحر :- كنت شابًّا يا حضرة القاضي ، ومن شبابي يغير الكل ، تتلقّفني أيدي الفتيات الجميلات الحسناوات ، أزهو بين ضحكاتهن وأميل ، أفرح بما بين صفحاتي من كلمات ذكيّة يكتبها جلال عامر أو أحمد رجب أو محمود السعدني ، أبتسم لمجرد الذكاء في التعامل مع القارئ ، لا أهتم بالضحكة قدر اهتمامي بإضافة معلومة إلى ذهن القارئ عبر طرق مُلتوية مُحبّبة للنفس ، لكن و يا للأسف..

القاضي :- ما الذي حدث..؟

الساحر :أصبحت الكلمات الذكيّة كلمات سخيفة ، تبعث على الضحك بدون أي فائدة تُذْكَر ، كلمات بذيئة ، ومواقف لا تنمّ إلّا عن الإيحاء بفُحْش القوْل والفعل ، بمجرد أن ينتهي القارئ منّي حتى يعطيني مكانًا جيدًا على الرف ، لكني أظل على الرف ، حتى تراني عجوزًا عاجزًا كما ترى ، لا يعود لي الشخص بالقراءة ، لأنه استخلص مني ما كان ، ويومًا بعد يوم أفقد قدرتي الحقيقيّة ، على أيدي هذا الشخص و أمثاله ..حسبنا الله ونعم الوكيل.. حسبنا الله ونعم الوكيل..

(ويظل يرددها حتى يخرج من باب المسرح)..

القاضي :- ما رأيك الآن يا مصطفى ؟

مصطفى :- النصف الأول من كلماته صحيح ، أما عن النصف الآخر فهو كاذب بكل كلمة ، لقد فَقَدَ الجيل هذا الذكاء الذي يتحدّث عنه ، أصبحت الكلمة الذكيّة مَحطّ أنظار العامّة الذين ينظرون لها باستغراب ، أصبحت الضحكة الضحكة قة الأُفُق ، أصبحت الابتسامة مُندَثِرة بين ما نُلاقيه من هموم كل يوم ، كل ساعة ، كل لحظة ، لم تعُد الضحكة الصافية كما هي ، أصبح لون كل شيء رماديًا ، أصبح النقاء عُمْلَة نادرة ، ماذا أفعل يا سيدي القاضي ، لن يبتسم أحد

إلّا بصعوبة ، لن يضحك أحد إلّا على خيبته ، فاضطررت لنقل الواقع في الكتب ، سياسية وسخرية وقلة أدب –كما تُسّمونها – ، لكننا اضطُّرِرنا إلى ذلك كي تعيش الضحكة ولو ثوانٍ معدودة بعد ما افتقدناها..

القاضي :– نادي على الشاهد الثاني..

الشرطي :– الشاهد الثاني ، الديوان يتفضّل..

(يدخل الديوان بنفس الخطوة البطيئة لسابقه ، يقف في منتصف المسرح).

القاضي :– قل لي يا ديوان ، ما الذي أصبحت تتحدّث عنه..

الديوان :–

كل كلمة وليها لازمة

كل دمعة عاملة أزمة

كل دماغ ناشفة وطريّة

كل عقل أشبه بجزمة..

القاضي :– وعن ماذا تكتب ؟

الديوان :-

عن كلمة مفهومة ف حياتنا

عن ماضي و معاه ذكرياتنا

عن فنجان قهوة حيرتنا

بتلعب مع بيّاعين كلام..

القاضي :-   ولماذا القهوة بالذات ، ألَا ترى أنها أصبحت مُسْتَهلَكَة ..؟

الديوان :-

القهوة دي عمق لحياة

وفيروز طوق النجاة

صوتها بيهز الوجود

ف وقت ما بخشع

ف الصلاة..

القاضي ولكن ما الذي ألحقته الأجيال بك ، والذي جعلك تصل إلى هذا المُستوى الذي تتحدّث به..؟

الديوان :-

مات العجبي والحدّاد

صنّاع كلام مفيش حِدَاد

موجودة ف فاتورتهم ديون

واحنا علينا السداد..

القاضي :- ماذا تقول في مصطفى..؟

الديوان :-

اللي زيه هو المؤامرة

بعدُهْم جاي يردم بكرة

ولو مفيش وقفة لحيرتنا

هنرجع ونقول ياريتنا كنّا..

القاضي – موجّهًا كلماته لمصطفى – :– ما ردُّك يا مصطفى على هذه الشهادة..؟

مصطفى :–

طبعً ا صدقتوا تمام جدًا

وان ديكي للفجر بيدّن

مهتصدقهوش..

لكن أنا عندي كبيري

مش مالي لكن هو دليلي

مليان برتوش..

الرتش الأول عاشق ولهان

مش عارف يقولها وخجلان

فبساعده بكام بيت شعر

يفتحله بِبَان..

والرتش التاني المخنوق

ع الآخرة رايح مدلوق

إيه يعني ولو كلمة تقوله

ما تصحصح فوق..

والرتش التالت سلامِتْها

البنت ما عاجبها وقفتها

ف وسط الحيتان..

اّديها كلمة تفّوقها

والكلمة التانية بتعشقها

كَفَس حرنان..

وبنت عاشقة رتش رابع

واخلي الواد ليها وتابع

واعمل قَلَبان..

ورتوش بوشوش سودة وتِعْبة

اقلبها حياة كلها أنوار

بالشعر وبالكلمة الصعبة

مش ذنبي إن الكلمة بقت نار..

مش ذنبي إن الإسفاف بقى شعبي

ولا ذنبي قصيدة أوضة وصالة

ولا ذنبي الفُصحى عامل عاملة

و متخّبى ورا أمور بطّالة..

أنا ليّا بمزاج العامّة

العامة وبس

واهو دا يا سيادة القاضي

الشعر ونص..

القاضي :- شكرًا أيها الديوان..

يخرج الديوان من يمين المسرح في خطوته البطيئة ، يُشير القاضي للشرطي فيتقدّم ويُنادي على الشاهد الثالث ، الخواطر ، تدخل سيدة ليست جميلة بما يكفي ، خطوتها سريعة هذه المّرة ، تقف في منتصف المسرح ، تهز قدميها بطريقة عصبية كناية عن توترها ، تنظر لمصطفى بعدوانية لكن القاضي يلفت انتباهها له)..

القاضي :- أهلًا يا خواطر..

خواطر :- أهلًا بسيادة القاضي ، ميزان العدل في بحور الظلم الأبيّة المتصنّعة..

القاضي :- يا سيدتي شكرًا ، ما هو وجه شهادتك في هذه القضية..؟

خواطر :- ليس لي وجه يا سيادة القاضي ، لي عيون تتحدّث ، تتألّم ، تعلم أنه لو كان لغيري الآلام لَما وصلت لِما وصلتُ إليه من وَهَن وضعف ، كنت كغزالة بريّة ، تركض معي الكلمات ، تسبح في بحور الضاد ، تقف على شاطئ الأحزان وتْرِمه ، تشّمر عن ساعديْها البيضاويْن وتتلثّم وشاح الحرية ، الكل يحبني لِما فيّ من روحانيّة مُهذّبة ، أعامل الكل كمعاملتي لنفسي ، وما الكل إلّا نفسي ، وما الكل في آفاق التيه إلّا ويلتحفون الضلال ؛ مثلي ، الكل مثلي..

القاضي – بتأفف – :- وماذا حدث بعد ذلك..؟

خواطر :- الكل أصبح يَمَل منّي -كما فعلت أنت الآن - ، لم يعد لأحد الصبر في عا لم المآّديات ، حتى هذا المدعو - مصطفى - ، لم يترك لي فرصة للوجود ، وإن حدث فبأقلام بنت جميلة كعلياء بالتحديد ، ليس لأن كلماتها بها من الروعة ما بها ، لكن لأن عيونها كحيلة وبسمتها وضّاءة وجريئة وبجوزة والدها أموال يدفعها أنّى شاء لكي يُسعِد ابنته ، أمّا أنا فللعين الضياع وللعين الأخرى الالتفات للماضي ؛ للتحسّر عليه..

علياء - قائمة - :- لقد نزفت من روحي لتكوني لي كلمات من نور ، الآن وقد عدتُ بك إلى سابق عهدك تلومينني ، ألم تكوني ضائعة لا ترتجي شفاعة ، ألستِ كلماتي ومشاعري وروحي إن لزم الأمر ؟!!

خواطر :- إن كان الأمر كذلك فلكل شخص مهما كان ما يكتبه أن ينشر خواطره ؛ أي أحد..

علياء :- وما المانع يا خواطر ، أولستِ ملك كل أحد..؟

خواطر :- ربما أكون كذلك ، لكن في النهاية تموتون وأبقى أنا للأجيال من بعدي ، وإن نظروا في خواطركم اعتبروها سخافة ؛ سخافة جيل بأكمله يا علياء..

علياء - غاضبة - : لي بجيلي أنا ؛ بإحساسي أنا ؛ بحياتي أنا..

خواطر :- حياتك أنتِ .. وليست حياة العامّة كي تنشريها..

القاضي :- كفاكم يا آنسات ، ما تقوله يا مصطفى في تلك كلمات..؟

مصطفى - ضاحكًا - :- تقول آنسات يا سيادة القاضي !! ، ألَا تعلم أن الكلمات تفقد عذريتها وغشاء بكارتها المُقدّس عند ما يمر القلم المُلّوث بالأفكار الضالّة التافهة عبر ثنايا

الورق..

لا يهمني من أنتِ ، بقدْر ما يهمني أنكي أصبحتِ شيئًا ليس بالجديد ، المشاعر تكلّم فيها من تكلّم ولم تعُد أجيالنا تأتي بجديد ، خواطرنا هي خواطر من سبقونا ، لأن المشاعر لا تتغيّر ، لأن الثقافات تظل كما هي بدون تجديد كالمياه الراكدة ، نعم ، أعترف الآن أن خواطر هي أول من انتزعتُ منها قُدسيّة الماضي ، وأصبغت عليها لون الشهوة ، اللون الوحيد الذي لا يُخالِطُها ، إن لم تكن الخواطر لامرأة يافعة بالغة من الجمال الحد المطلوب إذًا فلا وألف لا للخواطر ، من سيأتي لامرأة لا تبلغ من الجمال حد الانجذاب إليها ، ثُمّ أين الرجل الذي يكتب خواطره وتتهافت عليه النساء ؟! ، ثم أين الرجل يكتب خواطره ويأتيه الرجال ليحصلوا على توقيعه ؟! ، إنكم وما تتحدّثون فيه تقتلون أشياءً لم تعُد موجودة كسابق عهدها ؛ تُولَد على أيديكم وتوأدُها أيضًا بأيديكم ، أمّا أنا فأعرف أنها في الرمق الأخير ، فأستفيد منها ؛ أذبحها ؛ ثم أستفيد من لحمها الأبيض اللذيذ..

(تسمع خواطر تلك الكلمات وتزيد حِدّة الغضب عليها ، تعدو نحو القفص وتُمْسِك بياقة مصطفى ، تصرخ به وتكيل له الضربات الواهنة ، يجّرها الشرطي إلى خارج المسرح ، ومن ثَمّ يعود لمكانه ، يدخل رجل قوي البنية ، طويل شامخ ، به ثقة تصل إلى الطْور الأول من الغرور ، يدخل ولم يناديه أحد ، يستوقفه القاضي)..

القاضي :- من أنت ؟؟ ومن سمح لك بدخول القاعة من الأساس..؟

الأدب :- كان من المفترض أن أكون أول من يدخل ، فأنا أحوي جميع من دخلوا قبلي ، شهادتي هي التي لا شهادة بعدها.. أنا الأدب يا سيادة القاضي (بنظرة لائمة بمصطفى) أنا الأدب يا سيد مصطفى..

القاضي :- نحترمك يا أدب جُلّ الاحترام ، لكن لُكلٍّ دوره..

الأدب :-لقد فوّضوني لأتحدث بالنيابة عنهم جميعاً..

القاضي :- إذاً تفضّل..

الأدب :- أنا الأدب يا سيدي ، الإنسان الأول والأخير ، مُحْمل العواطف وكارثيتها ، بُعد الأفكار والنظريات ، خواطر أسفل موقد الكلمات ، وهواجس أعلى مرتبة الشك ، أنا الأدب يا سيدي ، الُرقِي الوضيع ، والوضاعة في أبهى صورها ، أنا الأسلوب والكلمات ترتشف من بحر الضاد عبيراً يفيض لنثره على العامّة ؛كل العامّة ، أنا المنظوم بالفوضى والفوضوي بالشعر والشعر الموزون والوزن بالقدرة والقدرة على التعبير والتعبير عمّا لا يمكن أن يُعبّر عنه بأسلوب آخر سواي ؛ أنا الأدب يا سيدي..

أنا من ارتبَطتُ باللغة فصنعنا الإنسان..

أنا التجلّي والتحلّي بالمصنوع ، أنا الاختلاف بالتوافق والتوافق بالشهادة والشهادة بالحق والحق على طول الدهر يعيش وأعيش في كنفه أتحلّى وأتجلّى..

أنا الصورة الصادقة التي تنعكس عليها أفكار الجميع..

أنا الكلمة والدعوة ، أنا القلب والعقل ، أنا العلم والتعلّم ، أنا نزهة..

أنا القول بالسحر والسحر بالقول ، أنا التهذيب بالمعنى والمعني بالتهذيب..

أنا الأدب يا سيدي ولا أوفّي نفسي حقّها..

تزعمون أن مصطفى وأمثاله سيكسرون قامتي ، هيهات ، لا أزال أنا الأدب وهو لا يُمثّل لي

شيئًا ، لا زلت أعيش بكلمات الأقدمين وسأعيش بكلمات الحاضرين ، حتى وإن كان المُستقبل طلسًما أشدّ تعقيدًا من ذي قبل فأنا وأنا و أنا من سيفك شفرته ، ولن يمنعني أحد ، سأنتشر ، سأتوغل في قلوب العامّة ، سأؤثِّر حتى في عقل مصطفى وغيره ، سأجعلهم أفضل وإن لم يحدث سيموتون وهم ليسوا بأفضل مني ، لأني سأبقى ؛ سواء شاءوا أم أبْوا ، أنا الأدب يا سيدي.. أنا الأدب يا سيدي ، أنا الأدب يا سيدي..

المشهد الأخير

(يعود كل شيء كما كان في الفصل الأول ، في المنتصف دار س للنشر والتوزيع ، علاء يقف في مدخل الجناح وعلياء تقف في منتصف المسرح)..

صوت مصطفى :- أنا الأدب يا سيدي ، أنا الأدب يا سيدي..

علاء :- استيقظ يا عم الأدب ، هناك من جاء خصّيصًا لك..

(يستيقظ مصطفى ويُمسِك بعلاء وهو يهتف

:- الأدب يا علاء ، الأدب سيعيش مهما كان ، سيموت الكل ويبقى الأدب الحقيقي ، دعنا

من كل شيء ، دعنا من الدواوين التي ستموت ، دعنا من الأدب الهزيل الذي لن يعيش ، سأكتب ما تبقّى من عمري ، سأجتهد وأسير على درب الإنسانية ، سأكتب لأغيّر العالم..

ينظر مصطفى ناحية علياء التي تبتسم له بدورها)..

علياء :- أهلًا يا أستاذ مصطفى ، جئت خصِّيصًا لأحضر حفل توقيعك.. وسعيدة أني تعّرفت على شخص طموحه أن يُغيّر العالم مثلك..

مصطفى - وقد َوكز علاء وتقدّم ليصافح علياء وتعلو وجهه ابتسامة - طبعًا طبعًا ، أعرف حضرتك جيدًا ، أنتِ من النشطاء على صفحتي على موقع - فيس بوك - ..

علياء :- نعم يا سيدي وكنت أتمنى مقابلتك منذ زمن ، وها قد حقّقتُ حلمي..

مصطفى :- المهم أن يكون هناك حلم أفضل من ُمقابلتي ، فكلنا خلفاء في الأرض وعلينا إعمارها ولو بالكلمات مثلي..

علياء - وهي تمدُّ يدها بكتاب مصطفى - :-أجل يا سيدي لكل منّا حلمه حتى ولو كان بسيطًا ، هل تسمح لي بتوقيعك هنا ؟..

مصطفى :- أه .. بالطبع - وقد أخرج قلمه - أتعلم يا علاء ، أتعلمين يا علياء ، ربما ليس علّي أن أكتب لأغيّر العالم ، ربما من الأ فضل أن أغيّر ولو نفسًا واحدة وانطلق بها نحو عالم أفضل ؛ بقلمي..

(تُسدَل السِتار)..

تمّت بحمد الله

١٩ - ٢ - ٢٠١٦

٣١ : ٧ ص